The contributions of Abdul Rahman Al-Sharqawi in the field of the Arab social novel".

إسهامات عبد الرحمن الشرقاوي في مجال الرواية العربية الإجتماعية:

* شجاع الدين:
**الدكتور رانا أمان الله

Abstract

In this Article, we learn about the most important features of the Arab social novel through the four novels of the great writer and poet Abdul Rahman Al-Sharqawi: "الأرض"(Earth) 1954 AD, "شوارع الخلفية"(Back streets) 1957 AD, "قلوب خالية" (empty hearts) 1957 AD, "الفلّاح"(The farmer)1980AD.Abdel Rahman Al-Sharqawi was born in the Egyptian province of Menoufia in 1920.His work as a poet, novelist, journalist and playwright is highly regarded for its realism and commitment to social issues of the day. He died in 1987. He wrote more than a dozen short stories, novels, books and articles, Al-Sharqawi novels present human issues in his society, important political and social issues, until his actions appeared to be true mirror for his ideas and attitudes towards his society, from man, and human life. Abdul Rahman Al-Sharqawi through his literature portrays the lives of workers in the Egyptian rural community. The most important characteristic of Al-Sharqawi's novels is their vitality, honesty and success in convincing the reader that what he tells about him has really happened to real people.The.Keepingin view the importance of this topic, I have chosen topic about: "The contributions of Abdul Rahman Al-Sharqawi in the field of the Arab social novel".

***Key Words**: Abdul Rahman Al-Sharqawi, Arab social novel, contribution*

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدناونبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين وبعد

مثّل فن الرواية في الأدب العربي الحديث الحياة الاجتماعية بكل صورها وأشكالها، وبين حياة

.....

* باحث دكتوراه بالجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد

** الاستاذالمساعد بالجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد

الناس في شتى مجالاتها، فقد اعتمد عدد من الدارسين على أدب الرواية في التعرف على الظواهر الاجتماعية للمجتمع، وقد هذا الفن جانبه الاجتماعي الكثير من النماذج، وعالج العديد من القضايا التي تمس الواقع المصري بهدف تغيير المجتمع وإعادة تشكيله، وظهوره بأبهى صورة.

نُبذة عن حياة عبد الرحمن الشرقاوي:

ولد عبد الرحمن الشرقاوي في قرية الدلاتون بالمنوفية عام 1920م.وقد ارتبط بقريته منذ صغره وأحبها،فكانت القرية المصرية هي المصدر إلهامه في معظم أعماله الأدبية ومعتقداته الفكرية،ومن وحيها كتب أولى رواياته (الأرض).[1]

"تلقى تعليمه بالمدرسة الأولية بالبلدة وحفظ أجزاء القرآن الكريم على يد شيخ القرية وفقيهها، وقبل ذهابه إلى المدرسة الابتدائيّة، كان لايزال يستحم في الترعة الصغيرة بل كان يمرغ جسده على التراب ويكسو وجهه ورأسه بالطين ليبدو شكل العفريت مع الصغار أمثاله سواء من الأولاد أو البنات ثم يقفزون إلى الترعة الصغيرة في الماءِ المثقل بالطمي".[2]

بدأ عبد الرحمن الشرقاوي تعليمه في كتّاب القرية ثم انتقل إلى المدارس الحكومية عادلا عن تعليم الأزهري الذي كان منتشرا في ذالك الوقت، ثم انتقل إلى القاهرة ودرس الحقوق في جامعة فؤاد الأول وتخرج فيها عام 1943م .وقد اعتُقل عدة مرات أثناء دراسته الثانوية والجامعية بسبب نشاطه السياسي قبل الثورة، وطورد بسبب إصراره على نشر رواية "الأرض" قبل الثورةوبعدها.[3]

إن البيئة التي يعيش فيها الإنسان، لها دور أساسي في تكوين شخصيته الذاتيّة، وهي قد تجعل الإنسان عاجزاً أمام المصاعب والمشاكل، وقد تجعله قادراً على التأثير في البيئة وفي الحقيقة تعّد البيئة مدرسة تصنع وتخلق الفكر وهذا الفكر يبقى في أذهان الأجيال القادمة، كما نرى هذا التاثير في حياة عبد الرّحمن الشّرقاوي فيما يلي:

"كان كلّ إخوته الذّين يكبّرونه يتلقون تعليمهم بالقاهرة، ويعودون إلى القرية كل صيف ومعهم كتب يقضون إجازتهم في قراءتها، واستطاع أن يقرأ عناوين هذه الكتب وأسماء مؤلفيها وعرف منها أسماء طه حسين وعباس محمود العقاد وأحمد شوقي ودكتر محمد حسين هيكل ومصطفى المنفلوطي".[4]

في الحقيقة إنّ معرفة هذه الكتب وأسماء مؤلفيها قد أثرت في ذاكرته، وقد أخذها نماذج لأعماله السياسيّة والأدبيّة فيما بعد.

وعندما شبّ بالمرحلة الثّانويّة من التعليم في المدرسة المحمّديّة الثّانويّه، كان تعوّد أن يصغى كل أربعاء من الأسبوع إلى قراءة حديث الأربعاء لعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين الذي كانت تنشره جريدة السّياسيّة، ومن خلال حديث الأربعاء ظهرت أمامه عوالم سحريّة باهرة من حياة الشعراءِ العرب في العصور الماضيّة وبعد إكمال المرحلة الثّانويّة أحبَّ أن يلتحق بكلية الآداب ولكن كان والده وإخوته يحبون ويلحون كثيراً أن يلتحق بكلية الحقوق، لهذا انضّم إلى كلية الحقوق ولكن لم يقطع علاقته وصلته بالأدب، كان يحضر الجلسات التي تنعقد أحياناً في كلية الآداب، وأيضاً المحاضرات الأسبوعيّة للدكتور طه حسين[5] .

"تخرج من كلية الحقوق بجامعة القاهرة عام 1943م، واشتغل بالمحاماة لمدة عامين".[6]

قد صرّح في إهداءِ كتابه، "علي إمام المتقين" الذي أهداه إلى أخيه الدكتور عبد الغفّار بهذا الموضوع وبحبه للأدب رغم متاعبه، حيث قال فيه:

"كنت تشفق عليّ ونحن صغار من أن يصرفني الأدب عن طلب العلم، فلّما انتهيت من دراستي بكلية الحقوق خفت أن يصرفني الأدب عن الاشتغال بالقانون كما كان يريد أبونا رحمة الله، فلما أدركتني حرفة الأدب عانيت ما جرته على الحرفة من عسف وسخط وكيد، ثم تعوّدت أن تلومني لأني رفضت كثيراً من المناصب الكبرى والرئاسة لكي أتفرّغ للأدب وحده بما يتطلبه من انشغال البال بالقراءة والتفكير والتأمّل وهموم التعبير، ولكم شقّ عليك هذا، عسى أن تجد في هذه الصفحات العوض عمّا سبّب لي اشتغالي بالأدب عن متاعب ومشقات".[7]

جهود عبد الرحمن الشرقاوي لدفاع عن الحق وإصلاح المجتمع:

كانت رؤية الشّرقاوي في كل منتجاته الأدبية، رؤية سياسيّة اجتماعيّة، يرى القرية من خلال كفاح أهلها في سبيل العيش، وكفاحهم الاقتصادي مرتبطة بالسياسة الظالمة في عهد صدقي، في الحقيقة كان الشّرقاوي أول من جعل موضوع القرية والفلاحين موضوع رواياته ويقارن قريته بالقرى الأخرى، يكتب عن قضايا الواقع في مجتمعه، يعتقد بالإصلاح المجتمع وتغيير النظام الفاسد ويستمر بالحديث عن هذه الوقائع الاجتماعيّة والسياسيّة طوال حياته، يؤمن بوظيفته في الحياة وينظر إلى الطبيعة الإنسانيّة نظرة الإصلاح ويرى أنّ الإصلاح تغيير الأنظمة الفاسدة مما هو في دائرة الأمكان إذ يقول:"إذ كنت أنتمي إلى الذين يمكن أن يستشهدوا دفاعاً عن الحقّ والحرّية والخير والإخاءِ وكل ما أُؤمن من أجله وإذ كنت أُصاول بروح الشهيد وبالإرادة التي يحرص على الحياة فما بالي إذن لا أتحمل

الالآم مهما تكن جسامتها وغلظتها في سبيل التعبير بالكلمة عما أعيش من أجل تحقيقه، حرّية الإنسان أن يصبح الانسان بحق أخاً للإنسان وانتصار العدل".[8]

إتجاه الأدبي في أفكارعبد الرحمن الشرقاوي:

لاشك أن عبد الرحمن الشرقاوي كان أحد كبار رواد حركة التجديد الشعري العربية في نهاية الأربعينيات، وهو أيضا أحد كبار رواد الاتجاه الواقعي الاجتماعي النقدي في الإبداع الأدبي العربي الحديث.[9]

"والظروف السياسيّة التي سادت مصر في أيام شبابه وهي: أولا: الظروف السياسيّة التي مرّبها العالم العربي في أعقاب الحرب العالميّة الثّانيّة، من مأساة فلسطين عام 1948م، وثورة يوليو 1952م، وثورة الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي والمعارك في تونس إلى حرب السويس عام 1956م، وفي ظلّ الأوضاع الاجتماعيّة الناتجة عن تلك القضايا كان على الشاعر أن يكتب عن قضايا عصره وهذا ما قد فعله الشّرقاوي.ثانياً، حركة المد الماركسي وموقف الشّرقاوي منها وفي تلك الفترة قويّت الحركة الشيوعيّة وحاولت أن تجد لها أنصاراً في الوطن العربي وتأثر بعض الشّعراء وفي مقدمتهم الشّرقاوي".[10]

وفي أعماله المسرحيّة نجد اهتمامه، «للوطن وللبلاد والتي تهم الوطن وترتبط به بوشائج وإن كان في هذه الأعمال ما يدّل على طموح المؤلف يقصد إكسابها الصفة العالميّة.[11]

"وقصائده السياسيّة والاجتماعيّة التي يبلغ عددها تسع عشرة قصيدة تشير إلى أنّ الشّاعر لم يعش بمعزل عن مجريات الواقع من حوله وإنّما تأثر بالأحداث السياسيّة الدائرة وكان له موقف منها، إنعكس على تجربته الشّعرية وقصائده في الشّعر السيّاسي تشير أنّ الهمّ السّياسي كان شاغلاً أساسيّاً في حياته وضحّ فيها موقفه ضد ممارسات القمع والاستغلال والتواطؤ مع المستعمر."[12]

إنّ عبد الرّحمن الشّرقاوي "كشعراءِ جيله تأثر بالشيوعيّة وإنتمائه إلى اليسار حيث كان عضواً في جماعة أنصار الإسلام اليساريّة آنذاك، لكنّه في تصريحاته الأخيرة في أواخر حياته كان يؤكد عدم انتمائه للشيوعيّة في أي وقت مضي، وكرّر ذلک أيضاً في لقاءات معه بأجهزه الأعلام المصري والعربي."[13]

يقول في إهداءِ كتابه "علي إمام المتقين"، الذي أهداه إلى أخيه الدكتورعبد الغفّار: "إنّها صفحات عن إنسان عظيم تعوّدنا أن نحبّه منذ الصغر وحفظنا عنه كلماته الجميلة ما زالت قلوبناتخفق بحبه لا لأنّ آبائنا علّمونا أنّنا من ذرّية ابنه الحسين فحسب ولكن حين تعرّفنا عليه أكبرنا فيه تلک

الفضائل الرائعة التي تجعل الإنسان قادراً على أن يدافع عن الحقّ والحرّية والعدل مهما تكن صولة الباطل".[14]

وفي إهداء كتابه "الحسين شهيداً"يقول:"إلى ذكرى أبي التي علّمتني منذ طفولتي أن أحبّ الحسين، ذلک الحب الحزين الذي يخالطه الإعجاب والإكبار".[15] وفي إهداءِ كتابه "محمّد رسول الحرّية" يقول: "إلى ذكري أبي الذي غرس في قلبي منذ الطفولة حب محمّد صلّ الله عليه وسلّم".[16]

أعمال الأدبية لعبد الرحمن الشرقاوي:

يتناول أدب عبد الرّحمن الشّرقاوي فنونه المتعددة من القصائد الشّعرية والمسرح الشعري والقصة القصيرة والرواية. التنوع والكثرة في آثاره وأعماله الأدبيّة والثقافيّة يبيّن مدى آفاقه الفكريّة السّاميّة في فنون الأدب المختلفة، كان عبد الرّحمن الشّرقاوي أديباً وشاعراً وصحفيّاً ومسرحيّاً وسينمائيّاً يجعل تفكيره أساساًلأسلوبه.

بعد تخرّجه من كليه الحقوق عام 1943م، إشتغل بالمحماة لمدة عامين، عمل مفتشاً لتحقيقات بوزارة المعارف العمومية واستقال عام 1956م، ثم تفرّغ للعمل الأدبي بجريدة الشعب، ورأس تحرير مجلة الطليعة الشّهرية التي كان يصدرها إتحاد خريجي الجامعة عام 1945م، حتّي أغلقت عام 1946م.

شارك في تحريرالصفحة الأدبيّة لجريدة "المصري" ونشر فيها الكثير من القصص والمقالات والقصائد وأشرف على الصفحة الأدبيّة بجريدة "الشّعب" ثم جريدة "المجمهوريّة" وخاض على صفاتحها معارك كثيرة دفاعاً عن الشعر الحديث.

تم عيّن رئيساً لمجلس إدارة موسسة، "روز اليوسف"عام 1971م، وعيّن سكرتيراً لمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعيّة بدرجة وزير 1977- 1979م، ثم تفرّغ لكتابة في جريدة "الأهرام"، 1971م.

إنتخب رئيساً لمنظمة تضامن الشّعوب الإفريقيّة والآسيويّة في مؤتمر عدن عام، 1981م. ترجم قصيدة إسمها "عيون الزا" من أشعار، أرجوان ونشرتها مجلة "رابطة الشباب" التي كانت تصدرها الوفدية ...وقد أرسل إليه "د. طه حسين" بعد ترجمه هذه القصيدة تحيّة طيبّة شجّعته على ترجمة قصائد أخرى.[17]

في مجال الشعر:

كانت أشعاره يجمعها ديوانان:أولها: ديوان شعر يحمل عنوان قصيدته الشهيرة "من أب مصري إلى الرئيس ترومان".

الثاني: يضم مسرحيته من فصل واحد ومجموعة قصائد "تمثال الحرّية" و"قصائد منسيّة."

في مجال المسرح:

"مأساة الجميلة"، 1962م، "الفتى مهران" 1966م، "تمثال الحرّية" 1967م، "وطني عكا"، 1969م، "الحسين ثائراً والحسين شهيدًا"، 1969م، "النّسر الأحمر"1976م، و"أحمد عرابي زعيم الفّلاحين"، 1985م.

في مجال القصّة القصيرة:

تضمن مجموعيتن، المجموعة الأولى: نشرت تحت عنوان "أرض المعركة" والمجموعة الثانيه: نشرت تحت عنوان "أحلام الصغيرة".

في مجال الرواية:

كتب عبد الرّحمن الشّرقاوي أربع روايات عن القرية:"الأرض" 1954م، "شوارع الخليفة" 1957م، "قلوب خالية" 1957م، "الفّلاح" 1980م.[18]

في مجال الترجمة:

أما في مجال التراجم الإسمية، فقد ارتاد الشرقاوي منهجا جديدا وأصيلا، بدأه بكتابه الفني الفذ "محمد رسول الحرية" في عام 1962م،ثم الفاروق عمر،وعلي إمام المتقين،واللصديق أول الخلفاء، وعثمان ذولنورين.[19]

الجوائز والأوسمة:

- منحه الرئيس محمد أنور السادات جائزة الدولية التقديرية عام 1948م
- ثم منحه وسام الجمهورية للفنون من الدرجة الأولى في العام التالي المباشرة.[20]

وفاته:

توفي في 10 نوفمبر عام 1987م- وهو اليوم نفسه الذي ولد فيه،عن سبعة وستين عاما قضاها من أجل مصر، لم يتوقف قلمه لحظة واحدة عن قول ما يعتقده لإعلاء كلمة مصر ورية الإسلام.[21]

يقول عنه الدكتور عبد العزيز شرف:"تُظهرنا الرؤية الإبداعية في أدب عبد الرحمن الشرقاوي على خصائص ثلاث يصدر عنها فيما يكتب ويبدع، ونعني بها الأصالة أو الجدة في العواطف المعبّر عنها، الوضوح في التعبير عن هذا العواطف، إخلاص الأديب المبدع،أو شدة العواطف التي يعبر عنها.

يجعل تفكيره أساسا لأسلوبه، ذلك أن التفكير هو الذي يبدى الدرامية في بناء الكلام وأفكار الأديب، والشرقاوي أديب تميّز بنتاج الأدبي رغم تنوعه، يكشف عن هذا السعي للكشف عن الحقيقة، سواء توسل بالشعر أو القصة أو الرواية أو المسرحية النثرية والشعرية،أو الدراسة الأدبية"[22].

روايات عبد الرحمن الشرقاوي:

ظهر أدباء الجيل في الخمسينات وهم عبد الرحمن الشرقاوي،وصالح مرسي،ويوسف إدريس،وعبد الستار خليف.حاولت الرواية عندهم أن تقدم الواقعيّة التحليلّة من خلال صيغة اجتماعية نازعة إلى التعبير عن الرغبة في إقامة دعائم بناء اجتماعي جديد.[23]

ومن أهم القضايا التي عالجتها الروايات التي كتبت بعد الثورة، قضية الأرض وقضية الفلاح. فقد حظي الريف بعدد كبير من الروايات في هذه الفترة، ولم يكن من الغريب بعد قيام ثورة في عام 1952 م، وصدور قانون الإصلاح الزراعي، ودخول البلاد في مرحلة جديدة من تاريخها أن يبعث الفلاح المصري حيا على أيدي كتاب مثل عبدالرحمن الشرقاوي ويوسف إدريس.[24]

ويعتبر شرقاوي أول من جعل حياة القرية والفلاحين موضوع الرواية الرئيسي بعد قرابة أربعين عاما من نشر هيكل لزينب. واتجه في رواياته "الأرض" 1954 م، و"الشوارع الخليفة" 1958 م، و"الفلاح" 1968 م، إلى استخدام المفهوم الواقعي الانتقادي والشتراكي في آن واحد بتقديم بطله الروائي الجديد.[25]

رواية الأرض:

تناول الكاتب في هذه الرواية موضوع الريف بما فيه من صفاء ونقاء وطبيعة جميلة، بعيداً عن المدينة المصطنعة، وأيضا تناول الأشياء السلبية التي تكدر هذا الصفاء، فكما يتمتع الريف بالطبيعة الساحرة والأشجار الباسقة والطيور المغردة، أيضاً هناك المشاكل والصعوبات التي تواجه الفلاحين في الريف، كالظلم والتعسف والحرمان والأجر الزهيد الذي يتقاضاه الفلاحون مقابل العمل معظم وقتهم في المزارع، هذا الأجر الذي لا يسد جوعهم ولا يروي رمقهم.

إنّ أدب الريف يعدّ من المواضيع الهامة الذي يحكي لغة الطبيعة وطبيعة الإنسان وفطرته بعيداً عن زيف المدينة، ففي هذه الرواية تعرضنا لأهمية هذا الأدب وصداه في الأدب المصري، كما تناولنا من خلال السرد بعض الركائز كالشخصيات واللغة ومسرح الأحداث والصراع، فسرد الرواية يعد أحد الأجناس الأدبية التي تكون عبارة عن صدى لظروف مجتمع متضمنة الأفكار التي تدور في ذهن المؤلف، أو يمكن القول بعبارة أخرى أنه فن أدبي يستخدم كوسيلة ليعبّر بها المؤلف عن واقع حياة، أو قضية مجتمع، والمشاكل التي يتعرض لها الإنسان وتعرقل مسيرته في الحياة، لا سيما أن أغلبية كتّاب الأدب الريفي وبشكل خاص الشرقاوي قد عاشوا تجربة الكفاح في قراهم، هذا الكفاح البسيط في سبيل الحرية مع الإحساس المفرط والمتزايد بالظلم والتطلع إلى العدل، فالكاتب ذاق وأحس ما كتب.

أما الأرض هنا فلها الدور الأساسي في الرواية، فالكاتب ينظر إلى الأرض نظرة فيها الإجلال والقداسة، لأن أساس الحياة في الريف يقوم على الأرض والعمل فيها، والكفاح من أجلها.

كما صور الكاتب الفلاح الريفي فقيراً ومُستغَلاً، أما الإقطاعي فهو ظالم ومُستغِل، فكان موضوع الرواية الأول هو تصوير جرائم الإقطاعية والمعركة الفلاحية لنيل حقوق الفلاحين من الإقطاعيين.

قدّم الكاتب نماذج الشخصيات مليئة بالحيوية والنشاط، إذ إن التصرفات والأفعال والأحاديث تتفق تماما مع ما حولنا من نماذج بشرية، فقد حرص الكاتب أن يحرك رجال ونساء الرواية حركة الأحياء الذين نعرفهم محافظين على هذه الحركة في كل القصة، فالتعبير عن هذه الجوانب من الطبيعة البشرية هو أهم الأعمال الرئيسية للرواية، وكان الكاتب حريصا في تنويع صور الشخصيات، شمل بذلك معظم النماذج البشرية الموجودة في الواقع، كالفلاح، والإقطاعي، والمعلم، والطبيب، والقاضي، والبقال، وساعي البريد، وعامل الري، والباشا، والعمدة، والمشعوذ، وسائق العربة، والخفير، والصول، والحكم دار، وشيخ البلد، وبذلك يتضح أن الكاتب قد تناول معظم الشخصيات التي تنتمي إلى واقعه، متنوعاً في المهنة وشخصية الرجل، ويمكن القول أنه تناول أغلبية المهن التي ممكن أن يعمل بها الرجل، سواء في الريف أم في المدينة[26].

رواية قلوب خالية:

قلوب خالية في روايات ثانية بعد "الأرض" التي تعبر نفس الحالات والحوادث التي تكررت فيها وهي التي تكررت بشكل آخر في "قلوب خالية" أما ما يتعلق بشخصيات الأرض كالإقطاعي محمود بك الذي عمل ضد الفلاحين المكدودين كذلك الشخصيات الأخرى قد عمل في "قلوب خالية" وفي الأرض صورة الإقطاعى هذه تجعل الفلاح هامشا لصورة يتصدرها هذا الذى يسعى لالتهام صغار الفلاحين تدور الأحداث في قرية شمالية قريبة من القاهرة أما هنا في "قلوب خالية" رافض لوضعه ويسعى للانعتاق والثورة على خالته فيكون همه وقضية أن يحمى نفسه من خلال حمايته لأرضه ويتصدى لم يفهم علاقته بهافالعلاقة بين الأرض والفلاح رصين كما جاء في الروايات الأربعة لعبد الرحمن الشرقاوي وهي العلاقة التي ى يزيلها إلا الموت فالفلاح مرتبط بالأرض ارتباطا وثيقا لأنها المصدر الأساسي للفلاح وربما الوحيدللقمة عيش له ولأهله ولعصره ومصره ولعالمه ومن هنا تتحدد صفته الفعالة تجاه الأرض.واحمد عمود بطل الشمندورة يقول: "أي أرض يمكن أن تجود مع الخدمة وبدون خدمة يمكن أن تتحول الأرض الخصبة السوداء إلى أرش قاحلة شاحبة حتى هذه الأرض الصفراء يمكن ان تخضر"[27].فالحاصل أن الأرض لا تنبت ذهبا ولا فضة وأن السماء لا تمطر حبوبا ولا أرزا بل أن الفلاح نفسه الذي يقوم بأعمال وبمشاق لإنتاج الحبوب ليكون معينا ومساعدا على المستوى القومي العالمي. وقد ذكر الروائي الكبير في معظم الأماكن صنوف الساعات المختلفة وأنوعها العديدة التي تظهر منها أن الفلاح يراعي الأوقات ويفهم الزمن ويسعى حسبه في مدار أعماله العويصة وتلك الأوقات هي :صبح – ظهر–عصر —مغرب– عشاء.فبدلا من ذكر الزمن الحقيقي ذكر عبد الرحمن الشرقاوي في هذه الرواية العبقرية الزمن المجازي ويأتي ذلك عبر الحوار في الرواية على النحو التالي:"يا مارنت الساعة في جيب محبوبى.فايته على السايغ وقال لى مالك.

إن كان على السيغة لشيعهالك.بس ابعدى عن لفندى وقولى...[28]

رواية الشوارع الخلفية:

تناول الكاتب في هذه الرواية موضوع المجتمع المصري بكل ما يموج به من تيارات وانتفاضات في أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات في القرن الماضي. ويقدم لنا الكاتب سرد مميز، يتعرض فيه لأحداث تاريخية في إطار اجتماعي متميز، مقدماً للقارئ صورة واضحة عن الحياة في مصر في تلك الفترة، من خلال شارع عزيز بما فيه من بيوت وعائلات

من مختلف الطبقات الاجتماعية والثقافية، وكيفية تفاعل الناس مع الأحداث السياسية في ظل الاحتلال الإنجليزي. استطاع الشرقاوي أن يرسم خفايا أبطال الرواية ويقدم أفكارهم ومشاعرهم، التي تشكل ملامح البطل الحقيقي للرواية " شارع عزيز".

وبالفطرة هناك طبيعة لكل مجتمع تشكل جينات أفراده، ولكل مجتمع خصوصيته من حيث المفردات والعادات والتقاليد، وفقا لموروثات شعبية وحضارة وتاريخ وتراث، ولكن المجتمع المصري يتميز عن غيره من المجتمعات فى كثير من مناحي الحياة على سبيل المثال وليس الحصر الدين، فالتدين عند المصريين حالة لها طقوس لن تجدها بمكة نفسها من حيث الروحانيات والإنصات لتلاوة الآيات الكريمة بالمقامات المصرية بأصوات مصرية خالصة، والكنيسة المصرية لها مذاقها ورونقها وقدسيتها لدى المسيحى والمسلم، وبالنسبة لأعيادهم فيحتفل بها المسلم قبلهم والعكس صحيح.الثقافة والمسرح والسينما والمغنى والرقص والرسم والشعر إلخ من أهم جينات الشعب المصري، لذا لن يجد أيدخيل سبيلاً أبداً لاختراق هذا الكيان بأفكاره ومعتقداته..

وبالحديث عن المجتمع المصري في فترة الثلاثينيات، أخذ الشاعر من "شارع عزيز" عينة من المجتمع، ليصور لنا ما يحويه هذا المجتمع من أفراد وطبقات وثقافات، ولم يكتفي بالحديث عن ظواهر الأمور بل كان تركيزه الأكبر على ما يخفى من مشاعر وأحاسيس وأسرار لدى شخصيات الرواية، حيث تعمّق بالحديث عنهم وعن أفكارهم وعواطفهم ودوافعهم وحتى إنطباعاتهم عن الآخرين.

كان شارع عزيز أحد أملاك دائرة "البرنس عزيز" وكان عبارة عن مكان مليئ بالرمل والنخل وراء الطريق الرئيسي الذي يصل بين السيدة زينب والحلمية الجديدة، واكتشف هذا المكان الباشكاتب في دائرة برنس بينما كان يطّلع على الأملاك في الدائرة، فأهدى قطعة أرض واسعة فيه لابنته الوحيدة زوجة شكري عبد العال. فكان شكري عبد العال صاحب أول بيت في شارع عزيز، حيث كان يشعر منذ أن بنى بيته أنه مسؤول عن كل الذين جاءوا من بعده إلى هذا الشارع وبنوا فيه. والحقيقة أن كل من جاءوا إلى الشارع لقوا من مساعدته ما لو يتوقعوا، وهو يقدم خدماته للآخرين، كأنما ينهض بمسؤولية حبيبة

يجد لذة خفية في النهوض بها. على الرغم أنه حلم دائماً ببناء بيت وحديقة صغيرة في الحملية الجديدة أو العباسية أو الروضة كما صنع رفاقه الآخرون من الضباط. واشترى الكاتب بالدائرة "داود أفندي" بالاشتراك مع حماته قطعة أرض كبيرة وبنى فيها بيتاً صغيراً وأقام فيه هو وزجته وأولاده وحماته، وعاد بعد فترة أمين أفندي بزوجةٍ صغيرة حسناء واشترى قطعة أرض صغيرة وبنى فيها بيتاً أمام بيت شكري عبد العال، وكان البيت عبارة عن طابقين بكل طابق شقتين فسكن بشقة وأجّر الشقق الثلاثة الأخرى. وسكن في شارع عزيز طلبة كثيرون منهم عبد الحي والأخوة الثلاث عبد العزيز وعبد اللطيف وشكري، وهم أولاد الحاج الخليفة الذي يسكن في بلدة الطيب وقور وهو عمدة تلك البلدة. وبعدها سكنت عائلة رجاء في أحدى شقق أمين أفندي مقابل أجرٍ زهيد. قدّم الكاتب نماذج الشخصيات مليئة بالحيوية والنشاط، إذ إن التصرفات والأفعال والأحاديث تتفق تماما مع ما حولنا من نماذج بشرية، فقد حرص الكاتب أن يحرك رجال ونساء الرواية حركة الأحياء الذين نعرفهم محافظين على هذه الحركة في كل القصة، فالتعبير عن هذه الجوانب من الطبيعة البشرية هو أهم الأعمال الرئيسية للرواية، كما كان الكاتب حريصا في تنويع صور الشخصيات، شمل بذلك معظم النماذج البشرية الموجودة في الواقع، كالموظف والطالب والضابط والخادم والحرفي، وصور لنا هذا المزيج العجيب وكيفية تفاعلهم فيما بينهم[29].

رواية الفلاح:

تناول الكاتب في هذه الرواية قضية الفلاح، وبالتحديد الفلاح المصري الذي طالما عانى من الظلم والاستغلال والعبودية. فصور عبد الرحمن الشرقاوي أدق التفاصيل في حياة الفلاح المصري ومأساته الأزلية للحصول على قوت يومه مع ربط هذا الواقع المؤلم بالظروف السياسية، والتي كان يعتبرها من أبرز أسباب قهر المواطن المصري.كما جاءت رواية "الفلاح" لتصور الفلاح فى صراعه ضدّ الظلم فى مجتمع ما بعد الثورة، مجتمع الإشتراكية والإصلاح الزراعى. إن أعداء الإشتراكية تسللوا إلى مناصب قيادية فى القرية وما زالوا يستغلون الفلاح ويحجرون على حريته ويحرمونه من حقوقه كما فعل أجدادهم، وتصور الرواية لوعة القاهرى المثقف إذ تنكشف له هذه الحقيقة.

الفلاح المصري ليس شاهدا على تاريخ القرية أو المجتمع القروي فحسب، بل يمثل الحقيقة المصرية القديمة وتاريخ الإنسان المصري على أرض مصر، تاريخ الأرض والبشر، الخصوبة والإنتاج، العبودية والاستعمار، العدل والظلم، الأصالة والمسخ. وبالرغم من كل المعوقات لا يزال الفلاح المصري أثراً حياً عصياً، ونموذجاً بشرياً حيوياً، دالاً على سيرورة بقاء الإنسان المصري وعلى ديمومة وجوده. ولما كان الفلاح يمارس أحد أبرز وجوه النشاط الإنساني، ولما كانت صلة البشر الجمالية بعالمهم تتبدى في كل وجوه هذا النشاط، فإن هذه الصلة تبلغ أرفع صور تجسيدها في نسق نوعي من مجمل أنساق الثقافة والوعي الاجتماعي، وهو الفن، فالمعاناة الجمالية إحدى السمات الأساسية للبشر، وبالتأكيد الشعور الجمالي ملازم للإنسان في كل إيماءة، وكل حركة، وكل عمل يقوم به، وفي كل وقع للحياة عليه، وإنما تجد تلك المعاناة، وذلك الشعور، تجسيدهما وكمالهما في الأعمال الفنية، وشأن الرواية أنها فن هذا الزمن، الذي يستطيع أن يصنع وجوهاً متعددة لهما. يرصد الكاتب الملامح العامة لصورة الفلاح في الرواية، كاشفاً عن العناصر المؤثرة في البنية الاجتماعية كالقيم الاجتماعية والصراع الإنساني والحدث التاريخي والطبيعة والسلطة. ووضع الكاتب شخصيات الرواية في أربع نماذج واضحة، كنموذج أصحاب النفوذ، وأتباع النفوذ والمثقفين والفلاحين.[30]

الشخصيات في روايات عبد الرحمن الشرقاوي:

إن شخصية الراوي هي أهم الشخصيات في الروايات الأربع ولم يقتصر دوره على الحكى، والتعريف ببقية الشخصيات، فهو يعبر عن شخصيته هو نفسه، ويتعمق في التعبير عن نزعاته ومشاعره وأفكاره.أما الشخصيات في روايات الشرقاوي كلها فتكاد متشابهة في ملامحها،وتصرفتها،وربما كان لذلك التشابه أسبابه وجذوره بأعتبار النمط السائد في القرية المصرية نمطا متشابها لتشابه أساليب الحياة ،والظروف السياسة،والإجتماعية، وآثاره على الشخصيات وأفعالها وأقوالها.

الأسلوب واللغة في روايات الشرقاوي:

فالكاتب له لغته الخاصة،ولا تتشابه لغة كاتب تماما مع كاتب آخر،حيث نسيج اللغة يتكون خلال مراحل تؤثر مؤثرات كثيرة، منها ثقافته،ونفسيته، والعوامل المؤثرة في حياته، وتلقيه لألون الثقافة المختلفة، لاشك ان لغة الكاتب بصمة خاصة به التى يعبر بها روايات خلال انفعالاته وأحاساسيه.وكذلك اللغة في روايات الشرقاوي في تصوير الأنسان في قريته.ويقدم الموضوعات والأحداث من زوايا مختلفة، ولغة السرد في الرواية تتميز بأسلوب سهل.والشرقاوي يروي الأحداث

أحيانا بأسلوب الاعتراف من خلال الضمير أنا، وأحيانا أخرى بضمير السارد الغائب هو خلال الروايات.وقد تأثرت لغة الشرقاوي في رواياته بحبه للأدب الشعبي.

الهوامش

[1]الكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوي شاهد على العصر/ حوار: عمر بطيشة – ط 01-الجيزة: دار الفاروق للاستثمارات الثافقية (ش-م-م-)،(2009) ص 01.

[2]عبد الرحمن الشرقاوى الفلاح الثائر -كمال محمد على الهيئة المصرية العامة للكتاب- سنة 1990- ص:45.

[3]الكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوي شاهد على العصر/ ص 11

[4]الفلاح الثائر:ص45

[5]الفلاح الثائر:ص46

[6]الأدب العربي الحديث: خفاجي, عبد المنعم، الجزء الرابع, مكتبة الكليات الأزهرية, قاهرة, لاتا،ص129.

[7]علي إمام المتقين:عبد الرحمن, الشرقاوي, الطبعة الثانية, دارالقارئ, 2007م ص7

[8]الفلاح الثائر: ص:47-48

[9]الكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوي شاهد على العصر،ص 13

[10]أدب عبدالرّحمن الشّرقاوي:د ثريا العسيلى- الهيئة المصرية العامة للكتاب 1995- ص 17

[11]الفلاح الثائر:ص 19

[12]الفلاح الثائر:ص 39-40

[13]الفلاح الثائر:ص 40

[14]علي امام المتقين: ص 7

[15]الحسين ثائرا والحسين شهيدا: عبد الرحمن, الشرقاوي, دارالكتب للطباعة والنشر,القاهرة, 1969م.ص 7

[16]محمد رسول الحرية:عبد الرحمن الشرقاوي, هيئة الكتاب, مصر, 1979م. ص 9.

[17]الأدب العربي الحديث ص 131

[18]أدب عبد الرّحمن الشّرقاوي: ص277،171،70،12

[19]الكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوي شاهد على العصر،ص 14

[20]الكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوي شاهد على العصر،ص 14-15

[21]الكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوي شاهد على العصر،ص 15

[22]الكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوي شاهد على العصر،ص 15-16

[23]"اتجاهات الرواية العربية المعاصرة"،د.سعيد الورقي ص 142

[24]"في الروايةالعربيةالمعاصرة" ،د .فاطمةموسى،المجلدالأول،ص 179

[25]"اتجاهات الرواية العربية المعاصرة" ،دسعيدالورقى،ص 152

[26]رواية الأرض:الطبعة الأولى سنة 1954 (بيروت المكتب التجارى)

[27]رواية قلوب خالية: الطبعة الأولى سنة 1957- الدار القومية للطبعة والنشر. ص 152.

[28]رواية قلوب خالية ص 209.

[29]رواية الشوارع الخلفية: الطبعة الأولى سنة 1957- الشركة العربية للطباعة والنشر سنة 1958.

[30]رواية الفلاح : الطبعة الأولى سنة 1968- عالم الكتب – القاهرة.